مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (02) ديسمبر 2024 ص ص 461-478

نزعة الإنسانية المتحولة من منظور ديني

Transhumanism : a religious perspective

إيمان، خلاف[1*] ؛ كمال حاج علي[2]

[1] مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال، جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني: Khallef.imane@univ-guelma.dz

[2] جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر).

البريد الالكتروني المهني : Hadjali.kamel@univ-guelma.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/06/10	2024/09/26	2024/12/01

الملخص: شهدت الإنسانية في الفترة الراهنة تطورا هائلا في مجال العلم والتكنولوجيا. وفي خضم هذا السياق، برزت نزعة الإنسانية المتحولة التي تعتقد بأن المعرفة العلمية والتكنولوجية ستمكننا من التحكم في العالم المحيط بنا وكذا تعديل الطبيعة البشرية بإستخدام الهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا والذكاء الإصطناعي، الأمر الذي يطرح قضايا أخلاقية ودينية هامة. وعليه نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تقديم لمحة موجزة عن التحديات التي يواجهها الفكر الديني نتيجة هذا النهج الفكري الجديد.

الكلمات المفتاحية: *الإنسانية المتحولة؛ ما بعد الإنسانية؛ الدين التكنولوجي*

Abstract: In the contemporary time, the humanity witnessed a remarkable development in the field of science and technology. Amidst this framework, the transhumanism emerged as a new tendency in which believes that the scientific and technological knowledge will provide us with the power to dominate the surrounding world as well as engineering human nature through leveraging the genetic engineering, biotechnology and artificial intelligence. This later brings about significant ethical, moral and religious implication. Through this study, we endeavour to provide a succinct synopsis about the challenges facing the religious ideology in the light of this recent intellectual approach.

Keywords: *transhumanism; posthumanism; the religion of technology*

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

بفضل التطور العلمي في العصر الحديث، شهدت نظرتنا للطبيعة والبشر سلسلة من التغييرات الجذرية. وقد أدى فهم أفضل لقوانين الطبيعة إلى إحراز تقدم تكنولوجي هائل. وبالتالي يمثل العلم والتكنولوجيا الآن عاملاً حاسماً في عمل المجتمع. غالباً ما يؤدي هذا النجاح الاستثنائي للمجالين إلى العلموية، أي الاعتقاد بإمكانية حل جميع مشاكل العالم من خلال الوسائل التكنولوجية. ومن أحد التيارات الداعمة لمثل هذه الأفكار "الإنسانية المتحولة"، الذي يقترح في جوهره خلق إنسان جديد، إذ تعتبر الإنسانية المتحولة طريقة تفكير حول المستقبل تستند إلى فرضية أن الجنس البشري في شكله الحالي لا يمثل نهاية تطورنا، وإنما مجرد مرحلة مبكرة نسبياً .

ويترتب على هذا التعريف أن الإنسانية لديها الحق والإمكانية في تعديل ليس فقط البيئة الخارجية، ولكن أيضاً الطبيعة البشرية نفسها. ولتحقيق هذا الهدف المنشود، لا تتم الاستعانة بالصلاة والزهد وتنمية الفضائل، بل بالعقل والمنهج العلمي والهندسة الوراثية والذكاء الاصطناعي، حيث سيؤدي هذا الأخير إلى إنشاء نوع جديد أكثر مقاومة للأمراض، يتمتع بذكاء أعلى، وعمر أطول، وحتى القدرة على تحقيق الخلود في مرحلة ما.

وعليه يجدر بنا التساؤل:

هل الإنسان الفائق الذي تسعى له نزعة الإنسانية المتحولة هو الذي يتصرف في المعتقدات الدينية إنشاء وتكييفا ومن ثم صياغة وإنتاجا حسب ما تصبو إليه من غايات؟

في الحقيقة هذه المشكلة تتفرع منها عدة تساؤلات أخرى:

هل يستطيع البشر، من خلال التحرر من القيود البيولوجية، أن يتطوروا إلى كائنات تعتبر في يوم من الأيام آلهة من قبل البشر الآخرين؟

هل تشكل الإنسانية المتجاوزة تحولا دينيا؟ وما عواقب هذا التحول على مفهوم الخير والشر والمسؤولية؟

أهمية البحث:

نلمس أهمية هذا البحث كون موضوع الإنسانية المتحولة يمثل حديث الساعة "موضة" في العالم الغربي تحديدا، خاصة في ظل الإنكشاف الهائل الحاصل في المجال البيوتكنولوجي، مما أسال حبر عقلاء المجتمع، وقد جرى ربطه بالدين كونه موضوع فلسفي بإمتياز كما يعتبر من أهم المداخل التي تربط التفلسف بالواقع الإنساني المعاش، خاصة وأنه واجه تحديات كثيرة لعل من أبرزها حاليا القضايا التي تطرحها نزعة الإنسانية المتجاوزة أمامه.

فرضيات البحث:

أما عن فرضية البحث فقد صغناها على الشكل التالي:

إن سعي أنصار نزعة الإنسانية المتحولة إلى خلق إنسان جديد فائق من خلال الإعلاء من قدراته الجسدية والنفسية والعقلية والروحية، مما يجعل الإنسان يحمل أهم صفات الآلهة وهي الخلق، فهي بذلك تشكل تهديدا للتفكير الديني خاصة ما جاءت به الشرائع الإبراهيمية.

أهداف البحث:

يمكن القول أن الدين لا ينبغي أن يلتفت إلى هذه الطريقة من التفكير، لأن الأفكار التي ينادي بها خبراء التحول الإنساني تبدو وكأنها مقتبسة من أفلام وروايات الخيال العلمي، ولكن في الواقع، تستند هذه الأفكار إلى التقدم العلمي والتكنولوجي الحالي، ولهذا السبب فإن فهم الأفكار التي يروج لها هذا التيار أمر لابد منه، ويجب على الدين تقديم ردود على هذه التحديات، وهذا ما تهدف إلى بيانه هذه الورقة البحثية.

منهج البحث:

إن تلك الأسئلة وأسئلة أخرى ذات الصلة تستحق التفكير العميق من خلال الإستكشاف الجاد لعلاقتنا مع الله في عصر الإنسانية المتحولة، وعليه اعتمدنا في تحليل

هذه المشكلات على المنهج التحليلي بإعتباره الملائم للإحاطة بالتصورات المتعلقة بها، والمتمثلة في: الإنسانية المتحولة، ما بعد الإنسانية، البيوتكنولوجيا وغيرها، ناهيك عن المنهج المقارن الذي اعتمدنا على آلياته للوقوف على نقاط التباعد والتقارب بين تصورات الإنسانية المتحولة للإنسان والجسد البشري ورؤى الدين لها.

خطة البحث:

هذه المقالة مقدمة موجزة للغاية لموضوع واسع ومعقد هو العلاقة بين الدين وهذا الاتجاه الجديد. لذلك، سنبدأ بتقديم عرض موجز لحركة الإنسانية المتحولة في القسم الأول، والذي سيساعدنا على ملاحظة كيف تطورت هذه الأفكار بمرور الوقت، يليه عرض لتصورات الإنسانية المتحولة عن الله في ظل التحديات التي تفرضها البيوتكنولوجيات الفائقة كقسم ثاني، ثم أدرجنا في القسم الثالث منظور الدين الإسلامي والمسيحي للقضايا التي تطرحها هذه النزعة من قبيل: الجسد البشري، الخلود... الخ.

1. الإنسانية المتحولة: الدلالة والسياق

يصعب تحديد مفهوم دقيق للإنسانية المتحولة نظرا لكونه، أولا: مفهوما جنينيا أي في طور التشكل، ثانيا: مفهوم زئبقي وعلائقي يتقاطع مع عدة نزعات ومفاهيم أخرى من قبيل: ما بعد الإنسانية، ضد الإنسانية، فوق الإنسانية، البيولوجية التطورية، المادية الجديدة ... وغيرها.

1.1 مفهوم الإنسانية المتحولة

لغويا يدل مصطلح الترانس trans على التحول والتخطي والانتقال، ومنه فإن الإنسانية المتحولة Transhumanism تحمل معنى إنتقال الإنسان من الهيئة العادية إلى هيئة أعلى وأرقى أي فائقة. وهناك مصطلح يتقارب مع Transhumanism ويستخدم في نفس الحقل الدلالي وهو Posthumanism أي ما بعد الإنسانية، غير أن هذا الأخير يشير إلى المرحلة

اللاحقة التي ستبلغها الإنسانية في المستقبل، وبهذا تكون الإنسانية المتحولة هي مرحلة راهنة وانتقالية من الإنسانية الحالية نحو ما بعد الإنسانية (Courturier, 2016, p. 7).

أما اصطلاحا فإن الإنسانية المتحولة هي حركة ثقافية وعلمية وفلسفية ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثمانينات كنتيجة للثورة التكنولوجية المتمثلة في الإنتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والتحكم الآل ، وتقنية النانو، إذ يدعوا خبراء التحول البشري إلى إمكانية تعزيز القدرات البشرية جسديا عن طريق التقنيات المتقاربة (NBIC النانوتكنولوجيا N ، البيوتكنولوجيا B ، المعلوماتية I ، علوم الدماغ C)، و الهدف النهائي لخبراء التحول الإنساني هو التغلب تماما على الحاجة إلى البنية التحتية البيولوجية (الجسد)، من خلال الإندماج الجزئي أو الكامل بين الإنسان والآلة (Ferry, 2016, p. 6) .

ينسب استخدام مصطلح الإنسانية المتحولة إلى البيولوجي البريطاني جوليان هكسلي (1887-1975) Julian Huxley في كتابه الصادر سنة 1957 "زجاجات جديدة لنبيذ جديد"، حيث يحمل الفصل الأول لهذا الكتاب عنوان "التحول الإنساني"، حيث ورد فيه قوله:" يمكن للجنس البشري، إذا رغب في ذلك، أن يتجاوز نفسه، ليس بشكل متقطع –هنا فرد بطريقة ما و هناك فرد بطريقة أخرى- ولكن بكليته، كإنسانية، نحن بحاجة إلى اسم لهذا الإعتقاد الجديد، ربما سيكون الإنسانية المتحولة مناسبا: الإنسان يبقى إنسانا، و لكنه يتجاوز نفسه، من خلال إدراك إمكانيات جديدة لطبيعته البشرية ومن أجلها (Huxley, 1957, p. 17).

يعتبر الفيلسوف السويدي نيك بوستروم Nick Bostrom أن الإنسانية المتحولة هي تيار فلسفي وعلمي يهدف إلى فهم وتقييم الفرص المتاحة في مجال التطور التكنولوجي لتحسين الحالة البشرية والكائن الحي الإنساني، بحيث يأخذ هذا النمط من التفكير في الإعتبار كل التقنيات الفائق NBIC ، والتي تستهدف فرص تحسين الحالة البشرية والقضاء على الأمراض والمعاناة، إلى جانب تحسين القدرات العاطفية والذهنية. (طاهير، 2023، صفحة 235)

لقد تمت تغذية هذا السيناريو كذلك من خلال إمكانيات السيبرانيات (هي نتيجة الدمج بين البشر البيولوجيين و تكنولوجيا الذكاء الإصطناعي) أو الكائنات الآلية، حيث أبرزت العديد من أفلام هوليوود مثل: ستارتريك، ترميناتور، سايبورغ، وكذا مسلسلات الويب مثل: Black Mirro مفهوم السيبرانيات، بحيث أصبح متداولا بين العلماء الذين يتوقعون أن يتغلب البشر على قيودهم البيولوجية من خلال هذا الإندماج، فنجد عالم البرمجيات الأمريكي راي كرزويل Raymond Kursweil قد توقع هذه الإحتمالية وأطلق عليها اسم "عصر التفرد"، حيث سيتم إزالة قيودنا البيولوجية بمساعدة التكنولوجيا المتقدمة. (كيرزويل، 2010، صفحة 27)

تتجاوز الرؤية الطموحة للتحول البشري الإعتقاد في التفرد التكنولوجي وإطالة العمر الراديكالية، ففي عام 1982 وضع عالم الإجتماع الأمريكي ويليام سيمز باينبريدج William Sims Bainbridge بيانا بعنوان " ديانات لحضارة المجرات"، دعا فيه إلى نوع من الدين لتعزيز إنتشار الحضارة البشرية في الفضاء الخارجي، وبعد عشرين عاما مثل ميلاد منظمة مهندسي الفضاء أول تحقيق لأهداف ناينبريدج.

2.1 السياق التاريخي والفكري للإنسانية المتحولة

لقد حظي عصر ما بعد الحداثة بالكثير من النقاشات الفكرية، كان على رأسها تداولا حديث النهايات، ومن بينها صيحة " موت الإنسان" بالتعبير الفوكاوي، حيث شكلت النزعات والتصورات المعاصرة خاصة الفاشية والشيوعية والفرويدية والهيدغرية والنيتشوية انقلابا لمركزية الإنسان بالمفهوم الديكارتي وبمقولاته الجوهرية: العقلانية، الوعي، الحرية، التقدم ،مركزية الذات الذكورية الغربية الأوروبية الشقراء المتحضرة، ومنه فإن مفكري الحداثة المتأخرة أسقطوا هذه المثل العليا من برجها العاجي معتبرينها مجرد عرض مرضي ثقافي إقصائي، حيث استثنى ذوات أخرى مثل: الشعوب غير الأوروبية، السود، النساء، الشواذ، ذوي الإحتياجات الخاصة، المجرمين، الحيوانات والبيئة. هذا ما دعا إلى ضرورة إعادة

صياغة رؤية جديدة للإنسان ذات حمولة قيمية ووجودية لا تقصي بقية الذوات، (بريدوتي، 2021، صفحة 73) وقد تعززت هذه الرؤية أكثر بفضل الثورة البيوتكنولوجية، مما نتج عنه ظهور اتجاه عمل على تجاوز الإنسان كما قدمه الطرح الكلاسيكي الموسوم بالضعف وصولا به إلى إنسان جديد فائق، قوي، خالد، وهو نزعة الإنسانية المتحولة التي جعلت غايتها القصوى بلوغ الخلود الإنساني وجعله في هيئة أعلى، أرقى وأقوى.

لطالما سادت الأفكار التي يروج لها تيار التحول الإنساني الآن، بأشكال مختلفة على مدار تاريخ البشرية، على سبيل المثال، نجد فكرة تحقيق الخلود مجسدة في ملحمة جلجامش الرافيدينية، أو في روايات مختلفة تتناول مفهوم إكسير الحياة والشباب الذي سعى إليه علماء الكيمياء في العصور الوسطى. كما يعتبر عصر النهضة من قبل مؤرخي التحول الإنساني لحظة محورية، لأنه –على عكس العصور السابقة- أصبح الإنسان سيد الكون، ومن هنا يأتي التركيز على التقدم وعلى تحمل المسؤولية الشخصية عن خلق مستقبل أفضل بدلا من الأمل فيه أو الصلاة من أجل تحقيقه من قوى خارقة للطبيعة، وعلى العقل والتكنولوجيا والمنهج العلمي والإبداع البشري بدلا من الإيمان. ومن هذا المنظور، يمكننا أن نلمس النظرة اللاإلهية والمعادية للدين، فالإنسان مسؤول وحده عن تحقيق مصيره، وفي المقابل لم يعد يعتمد على الإله.

وفي القرن التاسع عشر، الذي اتسم بثورة علمية وتكنولوجية هائلة تعزز الإعتقاد بأن الإنسان، ومن خلال الوسائل التكنولوجية سيتحكم في مصيره، وقد كانت نظرية البيولوجي والجيولوجي الإنجليزي تشارلز داروين Charles Darwin في التطور عن طريق الإنتقاء الطبيعي ملهمة جدا في هذا الصدد لأنها قدمت العالم ككائن حي، دائم التغير والتحسين، وبما أن الإنتقاء الطبيعي يعمل فقط لصالح كل كائن، فإن جميع القدرات الجسدية والعقلية ستميل نحو التقدم والكمال (Jouest-Courturier, 2016, p. 79).

هذه الأفكار ألهمت كثيرا فلاسفة نزعة الإنسانية المتحولة الذين آمنوا كثيرا بقدرة التكنولوجيات الفائقة على خلق إنسان فائق وخارق أو كما وصفه الفيلسوف الفرنسي لوك فيري Luc Ferry بالإنسان المؤله.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يمكن أن تحول الإنسانية المتحولة الإنسان العاقل Homo Sapiens إلى الإنسان الإله Homo Dieus؟ وهل بإمكان الإيمان بالعلم والتكنولوجيا أن يحل محل الإيمان بالله؟

2. الإنسان الفائق والرغبة في تشكيل الآلهة

وفقا لوجهة نظر الإنسانية المتحولة، فإن البشر يمكن أن يصبحوا آلهة، حيث أن بعض الصفات التي كانت تنسب تاريخيا وبشكل حصري إلى الآلهة أصبحت قابلة للوصول من قبل البشر، يمكن أن نفسر هذه النقطة بشكل أكثر تفصيلاً.

في الديانات التوحيدية، مثل اليهودية والمسيحية والإسلام، يُعتبر الله أبدًيا (الخلود)، كلي العلم، ويحيط بكل شيء (متواجد في كل مكان)، وحسب الإنسانية المتحولة يمكن للبشر تحقيق هذه الخصائص في النهاية من خلال العلم والتكنولوجيا؛ بهذا المعنى، يمكن تعزيز الإنسان بدرجة كافية ليصبح إلهًيا على بعض المستويات. لكن كيف يكون هذا ممكنا؟

الهدف الأساسي للإنسانية المتحولة هو تعزيز الإنسان، إذ هناك أنواع مختلفة من التحسينات والتعديلات التي تتأملها هذه النزعة. ونجد من أهمها التحسين الجسدي والتحسين العقلي. وهنا، سنركز على نوع محدد من التحسين الجسدي وهو الخلود الذي يعتبر ثابتا أنثروبولوجيا يوحد جميع الحقب التاريخية والمجالات الثقافية المختلفة، وقد شكل ميزة أساسية للكائنات العليا التي توجد في الصور الدينية والروحية والتي تجعل الوعي البشري كآلهة أو أنصاف آلهة أو أبطال أو ملائكة وشياطين. وقد أعيد تعريفه لاحقًا باسم إطالة الحياة الجذرية [RLE]؛ هذا النوع من التحسين يمكننا من الوصول إلى غاية الخلود، مما سيضع الإنسان على عتبة الإلهية.

لكن كيف نحصل على إطالة الحياة الجذرية؟ يمكن اتباع طرق مختلفة. يعتمد أحدهما على إعادة تصميم الإنسان الجسدي أي التعديل الجيني مما يؤدي إلى زيادة العمر. ويعتمد آخر على محاكاة المخ بأكمله، مما يؤدي إلى خلود إلكتروني رقمي. ونظرًا لأن النقاش حول استمرارية الذات من التجسيدات المادية إلى الرقمية يعتمد حاليًا فقط على التكهنات، فسوف نركز هنا على سيناريو الحالة الأولى، وهو عمر مُطوّل. (طاهير، 2023، صفحة 241)

على وجه التحديد، قد يتحقق إطالة الحياة الجذرية قريبًا من خلال تعديل الجينات البشرية. بعبارة أخرى، قد تقدم الهندسة الوراثية لأبنائنا وأحفادنا آلاف السنين من الحياة البيولوجية المستمرة. على سبيل المثال، إذا كان من الممكن أن تعيش الأجيال القادمة ألف عام، هل تُعتبر حياتهم أكثر قيمة من حياة البشر "العاديين"، أي البشر الذين لم يتم تعديلهم وراثيًا؟ هل سيُمنحون حقوقًا وامتيازات خاصة، بالنظر إلى أنهم سيظلون موجودين لفترة أطول بكثير من الناحية المبدئية؟ هل سيعتبرون أنفسهم "أفضل" من البشر العاديين، وفي النهاية، الأقرب إلى "صورة الله"، حيث يمكنهم في النهاية أن يصبحوا خالدين، وهي إحدى صفات الله؟ أم أن هذا المشروع الخاص بإعادة تصميم الإنسان سيخون رؤية الله، بالنظر إلى أنه في التقاليد الإبراهيمية، يُعتبر البشر مخلوقات إلهية كما هم، ولا يحتاجون إلى المزيد من التحسينات أو التحديثات؟

سنتوسع أكثر في هذه الموضوعات من خلال فتح قوس وسؤال نفسنا: "هل نلعب دور الآلهة؟". يعترض علماء الأخلاق الحيوية المحافظون على أن أي تعديل لجِينوم الإنسان يُشكل لعبًا لدور الآلهة لأنه ينتهك طبيعتنا الموروثة. فمن خلال محاولة تصميم أطفال حسب الطلب من خلال الهندسة الوراثية، سيظهر الجيل الحالي من الترا-إنسانيين كبرياء و غطرسة بروميثيوسية (مركزية الإنسان الفائق). فهذه التحسينات الجينية تنتهك إرادة الله المعبر عنها في خصائصنا الجينية الموروثة. (كيرزويل، 2010، صفحة 23)

يعتبر مصطلح "الأطفال المصممين" مثير للجدل.فوفقًا لقاموس أكسفورد، فإن الطفل المصمم هو "طفل تم اختيار جيناته من قبل والديه والأطباء بحيث يكون له خصائص معينة". ولقد ولد بالفعل أول الأطفال الذين تم تعديلهم جينيا. على الرغم من وجود أمثلة مختلفة يمكن سردها هنا، سنذكر حالة "لولُو" و"نَانا"، وهما أسماء مستعارة تشير إلى الأختين التوأمين المولودتين في الصين في نوفمبر 2018، حيث تم التلاعب بخريطتهما الجينية من خلال قص الكروموزوم الحامل لمرض وهذا باستخدام نظام تحرير Case9 CRISPR أو تقنية المقص، من قبل الباحث الصيني في البيوفيزياء "هي جيانكوي". وقد اخترنا هذا المثال تحديدًا، بسبب رد الفعل العنيف عالميًا الذي أحدثته في جميع أنحاء العالم، حيث يرى المجتمع العلمي والجمهور بشكل عام أنه "من السابق لأوانه بكثير تعديل جينات الأطفال البشر". ومع ذلك، يبقى الاحتمال قائمًا.

استُخدم مجازا مصطلح "لعب دور الإله" على نطاق واسع في مجال البيواتيقا لتحديد نقطة الصراع بين البيولوجيين المؤمنين وفلاسفة الإنسانية المتحولة. حيث يكمن الخوف من هذه العبارة في أن البشر قد يلعبون دور الإله بطرق أنانية وسلبية خاصة بهم مما قد يؤدي إلى عواقب غير متوقعة ونتائج اجتماعية سلبية. (هراري، 2018، صفحة 491) ومن الأمثلة على ذلك التمييز الجيني، كما هو موضح في فيلم الخيال العلمي الكلاسيكي "غاتاكا" الذي يصور مجتمعًا استبداديًا مدفوعًا بالتحسين الوراثي.

ولتجنب هذه المخاطر، يقبل معظم علماء الأخلاق المحافظين على العلاج الجيني، لكنهم لا يدعمون التحسين. وعلى الجانب الآخر، يدعم أنصار الإنسانية المتجاوزة كلًا من العلاج والتحسين. ولا يبدون أي تحفظات بشأن لعب دور الإله، حيث أن السعي لعلاج الأمراض وتعزيز القدرات وإطالة عمر لا يمكن أن يُطلق عليه بجدية لعب دور الإله، بل هو أقرب إلى استبدال إله غائب بوضوح أو غير مهتم تمامًا بتقليل معاناة البشر. (هراري، 2018، صفحة 488) وحسب الباحثة والناشطة الهندية فاندانا شيفا، فإن القلق الأخلاقي

والديني الحيوي بشأن لعب دور الإله يكمن أيضا في إقرار حقوق الملكية الفكرية لبراءات إختراع الحياة غير البشرية (روبوتات الذكاء الإصطناعي) التي تجعل من المخترع هو من يصبح إلها. تؤكد شيفا على أنه لا يمكن التعامل مع الحمض النووي بشروط تقليلية. في رأيها، لا يؤدي خلط الجينات إلى خلق الحياة: القوة التوليدية للكائن الحي نفسه لا يخلقها العالم، وبالتالي لا يمكن براءتها.

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: لماذا تحتل التكنولوجيا مكانة محورية في أفكار الإنسانية المتحولة؟ وهل يستطيع البشر من خلالها هندسة فردوسهم الخاص؟

قد يتحقق مفهوم كون المرء عالم بكل شيء في النهاية من خلال الإنترنت. إذ تربطنا أجهزة الكمبيوتر المحمولة والهواتف المحمولة ببيانات ضخمة، وهي تدفق متجدد باستمرار لا ينقطع من المعلومات التي تحتوي على إجابات محتملة لمجموعة واسعة من الأسئلة المحتملة. هذا التحول الرقمي يدعم الشعار الاجتماعي الحالي "فقط ابحث عنه في جوجل"، بدلاً من المثل القديم "الله وحده يعلم". بشكل عام، هل يمكن أن يحل الإيمان بالبيانات الضخمة محل الإيمان بالله؟ سيجيب المؤرخ يوفال نوح هراري Yuval Noah Harari بـ "نعم". فحسبه البياناتية هي أيديولوجية ناشئة، تصبح فيها البيانات الضخمة القيمة العليا، لدرجة أنها قد تحل في النهاية محل المعتقدات الدينية التقليدية وتتحول إلى دين جديد، تحل فيه البيانات مكان الإله (أو الآلهة) التقليديين بإيمان أعمى بقدرة الخوارزمية. (هراري، 2018، صفحة 512) وبنبرة مشابهة، فإن التفكير في الترانسهيومانيزم والتكنولوجيا وعالم الإلهي يصبح قابلاً للتبادل تقريبًا .

يدعو الفيلسوف الإنجليزي الترا-إنساني النفعي ديفيد بيرس David Pearce إلى "الواجب اللذائذي"، الذي "يوضح كيف ستلغي الهندسة الوراثية وتكنولوجيا النانو المعاناة في جميع أنواع الحياة الجسدية للإنسان وبقية الكائنات الحية وحتى البيئة، وهذا المفهوم أطلق عليه مصطلح " هندسة الفردوس."

يبدو واضحًا أن فكرة التفرد التكنولوجي تشترك في الكثير مع علم الآخرة الديني. التي وصفت ب "الطوبى النهائية"، يمثل التفرد ذروة تحول متسارع للإنسانية تحت تأثير التقدم التكنولوجي العلمي، وتعني ماهيته استحالة وصف المستقبل بعد التفرد. وهذا تشبيه واضح برؤية العالم المسيحية التي ستأتي بعد الدينونة الأخيرة واضح، إذ يستحيل كما يقول المسيح في الإنجيل، وصف أولئك الذين يعيشون قبل نهاية الزمان كيف ستكون "القدس الجديدة" و"قيامة الموتى". ينتظر العديد من المؤمنين بالتحول الإنساني التفرد على أنه نوع من "المجيء الثاني". ويعتقد كوزويل، مُروجها الرئيسي، أنها ستحدث حوالي عام 2050. ومن الجدير بالذكر أن التنبؤ بالتواريخ المتعلقة بتغيير عصري هو أمر نموذجي للمسيحية الخلاصية، وخاصة الإنجيلية الأمريكية (Ferry, 2016, p. 39).

ووفقًا لأستاذ الدراسات الثقافية في جامعة تولين في نيو أورلينز جول ديل Jolle Dill، فإن التقدم قد علمن مفهوم الفداء المسيحي وابتكر فكرة "المستقبل" كنوع من الواقع الميتافيزيقي القادم حيث سيتم تحقيق جميع الأحلام اليوتوبية للإنسان. لذلك، ينبغي النظر إلى المستقبليين وخبراء التحول الإنساني على أنهم لاهوتيين علمانيين ملتزمين بتطوير نظريات لأجل "الذرية التكنولوجية" القادمة. (بريدوتي، 2021، صفحة 123) كما أنه يشير إلى اختلاف جوهري بين اليوتوبيا الكلاسيكية واليوتوبيا التحولية: بينما افترضت الأولى تحسين المجتمع، مع ترك الشخص البشري دون تغيير جوهري، فإن التحول البشري يعتبر هدفه النهائي تعزيز الإنسان كفرد، ووضع بعده الاجتماعي في الخلفية.

3. موقف الدين من الإنسانية المتحولة

ما يمكن أن نستشفه هو أن الأفكار التي يدعمها دعاة التحول الإنساني ليست جديدة بالضرورة، فلطالما كان حلم تحسين خصائص البشر وبلوغ الخلود موجودا على مر التاريخ، ويبدو الأمر اليوم أكثر قابلية للتصديق نتيجة التطورات التكنولوجية، مما وسع دائرة مؤيدي

هذه الحركة، هذا ما يوضح أهمية هذه الطريقة في التفكير. لهذا السبب كان لزاما على الدين أن يحاول الإستجابة للتحديات التي تطرحها هذه النزعة.

1.2 مسألة الجسد في الأنثروبولجيا المسيحية والإنسانية المتحولة

يمثل الجسد مسألة أساسية في كل من المسيحية والإنسانية المتحولة، التي تسعى إلى تعديله باستخدام التكنولوجيا الحيوية، بل وحتى القضاء عليه بنقل الوعي إلى حاسوب. وبالمقابل، لا ترى المسيحية الجسد شيئا يجب القضاء عليه، بل على العكس، فبسبب تجسد وقيامة المسيح، تُعتبر الجسدية بُعدًا أساسيا للشخص إلى جانب الروح. فالإنسان يتكون من جسد وروح، ولا يشكل أي من هذين العنصرين بمفرده الإنسان الكامل. في الواقع، تم خلق الجسد قبل الروح، فوفقًا للفقرة التوراتية في سفر التكوين، كان جسد الإنسان هو أول ما خلقه الله: "ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية" (تكوين 2: 7)، حيث يشير الغبار إلى الجسد ونسمة الحياة إلى الروح. وقد كان خلق الإنسان فعلا خاصا من الله، حيث يختلف فعل خلق الإنسان عن فعل خلق الطبيعة حتى في مكونه المتعلق بالجسد. إذ جعل الله الجسد من تراب الأرض، لذلك لم يأمر الأرض ببساطة أن تصنع الإنسان، ومنحها بذلك القوة. (كينج، 1999، صفحة 31) وبذلك ميز جسد الإنسان عن بقية الطبيعة، أكثر مما تختلف أجسام الحيوانات المختلفة عن الطبيعة؛ فلقد صنع الجسد للروح التي ترتبط بشكل خاص بالله.

كما يعتبر خلق الإنسان على صورة الله جانبًا آخر أساسيا في المسيحية يظهر لنا أهمية الإنسان: "وقال الله: لنعمل إنسانا على صورتنا حسب شبهنا، ليتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدّبابات التي تدب على الأرض". (تكوين 2: 27)، وعليه يكشف هذا الجانب عن القيمة الاستثنائية للإنسان في الخلق. من خلال ذلك يفهم آباء الكنيسة أن الإنسان كائن عقلاني ومبدع، مسؤول عن الخلق وضابط له. ومع ذلك، ضعفت هذه الخصائص بسبب السقوط من النعمة الذي أدى

إلى تغيير الصورة الإلهية. إلا أن لم يتخل الله عن الإنسان بل أرسل ابنه المسيح إلى العالم لخلاصه. (كينج، 1999، صفحة 186) وبشكل خاص من خلال فعل التجسد هذا، يمكننا أن نرى أهمية الجسد في المسيحية: "والكلمة صار جسدا وحل بيننا، وقد شاهدنا مجده مجدا كما لواحد مولود من الآب، مملوءا نعمة وحقا" (يوحنا 1: 14).

من خلال هذا التجسد، وخاصة من خلال القيامة، يظهر لنا المسيح أننا مدعوون إلى الحياة الأبدية. لا يقتصر الأمر على خلود الروح فحسب، (كينج، 1999، صفحة 28) بل بفضل قيامة المسيح لدينا ضمان تحريرنا من عبودية الموت: "ولكن الآن قد قام المسيح من بين الأموات، باكورة الراقدين" (1 كورنثوس 15: 20). إذ كتب القديس بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس أن الأجساد المقامة ستكون في حالة جديدة. لن تخضع بعد للانحلال والموت: "هكذا أيضا قيامة الأموات يُزرع جسد جسديا فيقوم جسديا يُزرع في الهوان فيقوم في المجد يُزرع في الضعف فيقوم في القوة يُزرع جسدا نفسانيا فيقوم جسدا روحانيا" (1 كورنثوس 15: 43-44).

ظاهريًا، يبدو أن حركة الترانس-إنسانية والمسيحية لهما هدف مشابه، وهو التغلب على عيوب الجسد وحتى الخلود نفسه. ومع ذلك، تختلف الوسائل لتحقيق هذه الأهداف عن النهج المسيحي. فإذا كان الله في المسيحية هو الذي يحقق قيامة الأموات وتحول العالم، فإن الإنسان في الترانس-إنسانية يريد، بمساعدة التكنولوجيا، تحقيق هذا الواقع. كما يعتبر الموقف تجاه الجسد متناقضا بين أنصار الإنسانية الإنتقالية.من ناحية، يُنظر إلى الجسد بشكل إيجابي لأنه دعم للعقل، لذلك فهو ضرورة. ومن ناحية أخرى، نجد أيضًا منظور اخر يرى في الجسد شيئًا يجب القضاء عليه أو حتى التغلب عليه لأنه مجرد بنية مادية.

كما نلاحظ، هناك منظور مختلف حول العلاقة بالجسد في المسيحية والترانس-إنسانية. بالنسبة للمسيحيين، الجسد هو من خلق الله مدعو إلى الخلود والقيامة، بينما يسعى المنظور الآخر إلى تغيير جذري للجسد وحتى تحريره منه. وهناك جانب آخر يميز بين

الاثنين وهو أن الله يستطيع أن يحول الكون والجسد بينما الإنسان، رغم رغبته في تحقيق الخلود، لا يستطيع ذلك في الواقع لأنه غير قادر على القضاء على جميع المخاطر الوجودية التي يمكن أن تؤدي إلى الموت.

وهنا نطرح التساؤل التالي: هل نزعة الإنسانية المتحولة ملحدة بشكل صارم؟ من السمات الرئيسية للمؤمنين بالتحول الإنساني إلحادهم. ومع ذلك، يمكننا أيضًا أن نجد مفكرين مسيحيين عبروا عن أفكار حول إمكانية تعديل الطبيعة البشرية من خلال العلم والتكنولوجيا، من أبرزهم: نيكولاي فيدوروفيتش فيدوروف (1829-1903) وبيير تيلار دي شاردان (1881-1955).

لقد كان نيكولاي فيدوروفيتش فيدوروف مؤلفًا أقل شهرة ولكن ذا رؤية أصيلة. فقد تبنى هوية مسيحية أرثوذكسية ولكن في الوقت نفسه كان مؤمنًا قويًا بالعقل والعلم. وكان يعتقد أن الإنسان يستطيع التحكم في قوى الطبيعة وحتى قهر الموت. في الواقع، ذكر أنه من خلال التكنولوجيا، من الممكن قيامة جميع البشر، فعندما يقوم العقل النظري الذي يدرس الموت والحياة، والعقل العملي الذي يعيد الحياة وبالتالي يهزم الموت، معًا بتنفيذ إرادة الابن الذي أعطى الوصية لكي يجتمع الجميع، وإرادة الروح القدس، وعندئذٍ يكون العمل هو أساس تحويل الأمل المنشود إلى واقع (Ferry, 2016, p. 137).

على عكس فيدوروف، كان الفيلسوف والكاهن اليسوعي الأب تيلار دي شاردان مفكرًا معروفًا في العالم الكاثوليكي، وكذلك في العالم البروتستانتي والأرثوذكسي وحتى العلماني. كان شخصية معقدة، متخصصًا في العلوم الطبيعية (علم الأحياء القديمة، الجيولوجيا) وكذلك اللاهوت. حيث يعتقد بأن التطور هو صعود نحو الوعي، لهذا نادى باستخدام المعرفة لتحسين الكائن الحي البشري من خلال نوع نبيل من تحسين النسل البشري. (Ferry, 2016, p. 131)

2.3 موقف الإسلام من الإنسانية المتحولة

إن إيمان الإنسانية المتحولة الراسخ بأن البيوتكنولوجيات الفائقة ستمكن الإنسان من خلق وتجاوز ذاته إلى ذات أقوى، وهذا ما يناقض طبيعة الخلق الإلهي في العقيدة الإسلامية.فسعي خبراء الإنسانية المتحولة لتعزيز قدرات الإنسان المختلفة بحثا عن صورة كاملة وفائقة له، فيه ضرب لأهم مقومات العقيدة الإسلامية، وهي خلق الإنسان في أحسن تقويم، مصداقا لقوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (سورة التين / الآية 4)، فبعد أن قامت نظرية التطور بخلخلة أهم عقائدنا، وهي مسألة الخلق الإلهي المتقن، فها هي نزعة الإنسانية المتحولة هي الأخرى تعصف بهذه العقيدة من خلال وعودها بإنسان جديد فائق وقوي كنوع من تحد للخلق الإلهي. (بوحناش، 2017، صفحة 352) فهل تدعم فلسفة الإنسانية الفائقة موت الإله؟ وهل من الممكن تصور إله ما بعد إنساني؟ وهل يجب تغيير معتقداتنا حتى تتماشى مع هذا الطرح الراهن الذي يفرض نفسه بفضل التقدم العلمي؟

كل هذه الأسئلة توحي بوجود تحديات تصطدم بها مبادىء الشريعة الإسلامية، ما يفضي إلى ضرورة استحداث مناهج وطرق تأويلية جديدة تستوعب متغيرات الواقع الإنساني الراهن، مما يحسن العلاقة المزدوجة الدين – التقنية. (بوحناش، 2017، صفحة 354) وهذا لا يعني الإقرار بوجود علاقة تكافئية بينهما، بل بوجود عقيدة دينية تمثل تنزيل إلهي سماوي منزه، وأخرى إنسانية تعبر عن إجتهاد بشري خالص قوامه العقل المحدود، فالأولى يكون فيها الإله متعاليا أما الثانية يكون فيها الإنسان إلها مجازا الذي يستعين بالتقدم التقني. (بوحناش، 2017، صفحة 355)

وهكذا نجد أنفسنا كمسلمين أمام رهان عقائدي، يجعل منا جميعا بمثابة متكلمين مدافعين عن عقيدتنا السمحاء من الشوائب التي تطالها من قبل هذه النزعات المادية المؤمنة فقط بالتقنية. فإذا كانت حركة الإنسانية المتحولة تعدنا بتعزيز قدرات الإنسان، فإن الله عز وجل قال في كتابه الحكيم: "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز

الحكيم" (سورة آل عمران / الآية 6)، وكل هذه التناقضات يلزمها عقل واعي تأويلي ناقد ومطلع على مستجدات العصر، حتى يتمكن من مجابهتها ويقبل ما يمكن قبوله ويرفض كل ما هو مستبعد. فالحكمة كلها في توحيد الله دائما، ومن زاغ عن هذه الحكمة، بنا من علمه هرما من الورق، يهبط ويخر في أي لحظة وبأي نسمة. فالخلود الذي يطمح له أنصار هذه النزعة نابع من دافعين، الأول هو اليأس، فالإنسان المفرغ روحيا، وبتقدم العمر يرغب في تمديد أجله وتجديد شبابه، وهذا عرف منذ القدم، أما الثاني فهو التطرف والطغيان الخالص، فهو تحد لله بشكل واضح وتحد للطبيعة البشرية التي جبلها الله على تلك الهيئة التي يزعم خبراء التحول الإنساني أنهم قادرون على ترويضها بفضل العلم و التكنولوجيا.

4. خاتمة:

على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول أن مسلمات نزعة الإنسانية المتحولة تتعارض بشكل عام مع معتقدات الديانات التوحيدية، ذلك أنه لا يوجد في الإنسانية المتحولة حديث عن خلود الروح والحياة بعد الموت كما أقرته الديانات السماوية، فكل شيء حسبها متعلق بهذا العالم وبالجسد الفيزيقي في ظل رفضهم لوجود الروح كجوهر ميتافيزيقي، إذ لا يستطيع المسلم أو المسيحي الإيمان بأن الإنسان قادر على تحرير نفسه من الموت من خلال الوسائل التكنولوجية، فهو شكل من أشكال عبادة الأصنام. وعلى مستوى آخر، و بالرغم من الطابع التفاؤلي الغالب على هذه الحركة إلا أنه لا يمكن أن نتغاضى عن المخاطر التي تنجر عن أهدافها في التعديل والتطوير والتعزيز والخلود، خاصة وأن الوصول إلى هذه التقنيات سيكون متاحا فقط لأولئك الذين لديهم إمكانيات مالية ضخمة، مما يؤدي إلى عدم المساواة، ونتيجة لذلك ستتطور النزاعات الاجتماعية، سيؤدي تطور الذكاء الاصطناعي إلى اختفاء العديد من الحرف و الوظائف، إلى أضرار بيئية، إلى إمكانية السيطرة على السكان بشكل أسهل، وحتى إلى ظهور الديكتاتوريات. وتبعا لذلك، لا ينبغي أن يهمل الدين مثل هذه الأفكار وأن ينخرط في نقاش وحوار فعلي وجاد ومنفتح مع أنصار هذه الحركة التي باتت

أفكارها قدرا محتوما لا مفر منه، وهذا محاولة منه لتقليل مخاطرها ونشر الوعي بأن تطوير المعرفة والتكنولوجيا يعمل على تسهيل وتحسين حياة الناس وخلق نوع من الرفاهية لكن دون الإفراط في تقديسها والإعتقاد بأنها قادرة على خلق إنسان جديد وحتى عالم مثالي لأن سلطة ذلك لا تكون إلا بيد الله تعالى وحده.

5. قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع

قائمة المراجع باللغة العربية:

بريدوتي، روزي. (2021). ما بعد الإنسان. (حنان مظفر، المترجمون) . المجلس الوطني للثقافة والفنون.

بوحناش، نورة. (2017). *البيواتيقا والفلسفة: من الإنسان الفائق إلى الإنسان المتزكي*. المؤسسة العربية للفكر والإبداع.

طاهير، محمد. (2023). *البيوتكنولوجيا ومستقبل الإنسان-الهندسة الوراثية نموذجا* -. دار الموج الأخضر للنشر.

الكتاب المقدس، العهد القديم، *سفر التكوين*، الإصحاح الثاني.

الكتاب المقدس، العهد الجديد، *الأسفار التاريخية*، إنجيل يوحنا.

الكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسائل، *الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس*.

كيرزويل، راي. (2010). عصر الآلات الروحية: عندما تتخطى الكمبيوترات الذكاء البشري. كلمات عربية للترجمة والنشر.

كينج، هانس. (1999). لماذا مقاييس عالمية للأخلاق؟ الدين والأخلاق في عصر العولمة. (ثابت عيد، المترجمون). المركز القومي للترجمة.

هراري، يوفال نوح. (2018). العاقل: تاريخ موجز للنوع البشري. (حسين العبري، وصالح بن علي الفلاحي، المترجمون). دار منجول للنشر.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

Ferry, L. (2016).*la revolution transhumaniste*. Paris, un département d'édie8, france: édition plan.

Jouest-Courturier, B. (2016). *le transhumanisme fout-il avoir peur du l'avenir*. Paris, france: groupe eyrolles.

Huxley, J. (1957). *new bottles for new wine*. london, england: chatton and windus.